رغم مخاصرة البحر ومراتب الجمال

(2-1)

الحديدة.. العيش قسراً وسط زحف المخلفات

أسوأ ما يكسر خاطر المرء هو تحطم الصور الفاتنة لأساطير الحواضر الجميلة التي عاشها بعشق عنيف، ووجدان صادق، ليشكل تحطمها بُعداً ذهنياً للأحلام الاستثنائية المشنوقة على باب التمنّي. حاصرتني هذه الفكرة القاسية دون رحمة، وأنا أحاول أسد أنفي جراء الروائح الكريهة التي تنبعث من أمام ميناء الصيد الذي يغسل سافية قدميه في البحر، ورقع وجهه وحل الادران، كانت يدي الشمال على أنفي، بينما يُمْنَاي تتحسس عدسة الكاميرا بخوف لالتقاط أول صورة عن مأساة المدينة اللصيقة بهجس قصائدي منذ زمن، لتتوقف نوافير الشجن على روائح ووجع ذلك الوضع الرثّ، لحظتها باحت الحديدة إن مأساتها ليست محصورة في المجاري، بل اجتمع طوفان المياه العادمة، وكثبان الزبالة والمخلفات المتحركة كرمال السهل الساحلي حين تثور قسوة الجفاف.

وضع الحديدة اليوم، طفحٌ من المجاري، وجروحٌ من الزبالة في كل اتجاه، من هذه النافذة سلطت صحيفة الثورة ضوء مهمتها الخاصة على واقع النظافة، مظهراً.. في سد أفق الجمال، ومضموناً.. في معاناة المواطن وتردي الخدمات العامة، وزيادة طفَح المجاري طبقاً من ألم التراكم النتن.. إلى سطور الحلقة الأولى من تحقيق النظافة.

تحقيق/محمد محمد إبراهيم
- خديجة بورجي

«،، لا مبالغة في تلك التوطئة فذاكرة الطفولة اختزنت للحديدة أبهى صور الجمال للمدينة الساحلية، حيث كانت أولى زيارتي لها ومعالمها في العام1995م، حيث كنت طالباً في الأول الإعدادي، إذ قمنا برحلة مدرسية. لقد كانت الحديدة حينها حُلةً من دهشة المدن الشاطئية، ولوحة رسمتها زرقة البحر وخُضرة الجُزر الوسطية وبهجة الياجور الذي يُعمِّمُ المباني الواثبة على امتداد ساحل الكرنيش. وملتقى الحفل الدائم.

قديكون صفو ذاكرتي الطفولية وروحي القروية جزءاً من تكوين هذه الصورة الذهنية عن مدينة الحديدة جمالا ومعماراً ونظافةً في ذلك الزمن النقي من الحياة المدرسية، لكن ما شاهدت أمس من مفارقات مؤلمة، لم يكن ليخطر على بالي إنّي سأيمّم بصري في كل اتجاه فتصده بحيرات المجاري وأكوام الزبالة البشعة، ومظهر المنازل المتهالكة، وكما لو أني أدخل أكثر الأسواق الشعبية عشوائية وتراكماً لمخلفات المتاجر والمواشي وكركبات الورش المتهالكة. يؤسفني التسليم بأن الصورة الذهنية التي ارتسمت في تلك الزيارة التسعينية، عبارة عن أساس واقعي لأسطورة، تحطمت بقسوة بالغة، لحظة دخولنا حيّ "غُليل والحَوَك العليا والسفلى" حيث شاهدتُ أكياس البلاستيك ومخلفات المحال التجارية والورش الخردوات والمعلبات البلاستيكية والمعدنية تختلط بمياه المجاري مُشكِّلةً بيئة لأكثر أنواع البعوض فتكاً بالإنسان، ومنبعثاً لأكثر الروائح العادمة كراهية ونتانة، وبهذه الصور غادرت ذاكرتي أجمل صورة ذهنية ارتسمت للحديدة، لأطلّ فجأة على هوة زمنية مخيفة بين1995 م و2013م وعلى صور ذهنية بهتت الوانها فحالت نهدة تندب الماضي، وتلعن الحاضر، وتشجيع المستقبل، مع الإبقاء على خيط الأمل بأن تصبح الحديدة حاضرة نظيفة، ومحطةً فارهة في خصر البحر الأحمر، ومدينةً نشطة يزفها الجمال على حضرة الموج وهدير البواخر وحفل النوارس إلى عالم التجارة والاقتصاد والرقي بحياة البشر والشجر.

المفارقة الأشد إيلاماً في مسار تدني مستوى النظافة في محافظة الحديدة التي يشكل سكانها نحو 11-13٪ ، من سكان الجمهورية اليمنية -حسب تعداد2004 م - إن غياب القانون فرّغ الإدارة بكل معانيها من مضامينها البرجماتية اللصيقة دائماً، بنتائج محمودة الإنجازات على المظهر العام في كل مدن العالم، وبهذا الغياب عُطلتْ مسؤوليات عامل النظافة ما ساهم في خدش وجه المظهر العام، للحديدة فتحولت من مدينة مفعم بالحركة التجارية الاستثنائية في الخارطة اليمنية، إلى بيئة طاردة لرؤوس الأموال و إلى السياحة البحرية والشاطئية و إلى كل مظاهر الترفيه المدني.

مخططات للمخلفات

الحلم بمدن حضرية راقية وبمخططات عالمية في مساحات واسعة، هي من أبرز الممكنات في محافظة الحديدة، لكن ذلك يحتاج إلى إرادة سياسية ونمط قيادي ابتكاري، وإدارة بمواصفات دولية لا تخض لمعايير المحسوبيات والوساطات والنفوذ السلبي والاحتكاري، كل هذه العوامل متى توفرت ستكون هي قاعدة الممكنات العريضة لإقامة مدن مميزة تقترب من واقع المدن الساحلية في دول الجوار على الأقل.

لكن الحاصل والمشاهدات التي لاحظناها في تجوالنا إن مخططات اتسعت شمالاً وجنوباً وشرقاً في محافظة الحديدة لكنها سرعان ما تحولت إلى خلاء تتصبب فيها نفايات وصارت مقالب تحتاج إلى مشاريع نظافة تقصم كاهل المحافظة، خصوصاً على خط التسعين ومخططات)7 (يوليو، وعلى خط المطار خصوصاً ما قبل وما بعد دائري الدريهمي_ أكبر دائري في الجمهورية اليمنية- وما يحاذي الشريط الساحلي جنوب غرب المدينة حيث تتجمع مخلفات القوارب المتهالكة، ناهيك عن مساحات لمشاريع متعثرة تحولت بفعل الإهمال إلى محارق لمنتجي الفحم وهذا ما لاحظناه في الضاحية الشمالية للمدينة حيث موقع المدينة الطبية المتعثرة.

واقع كارثي

هذه ملاحظات ومشاهدات تعكس صور التشويه التي طالت المظهر العام بصافة عامة لكن التوقف لحظات مع أحد أبناء الحديدة يدلك ببساطة إلى مفاصل الواقع الكارثي التي تعيشه هذه المدينة المنكوبة، حسب توصيف الدكتورة حنان بامشموس /مسؤول إعلامي بمؤسسة بنات الحديدة.. حيث أكدت أن عروس البحر الأحمر أصبحت تعيش كارثة بيئية فكثير من الأمراض بدأت تنتشر كلما زاد طفح المجاري والقمائم في بيئة نشطة للبكتيريا بأنواعها كالملاريا والتيفويد وغيرها.

وقالت بامشموس: للأسف الوعي البيئي لدينا غير موجود خاصة ربات البيوت تخرج الزبالة أمام البيت دون كيس مما يجعل القطط تعبث بها ويتجمع الذباب والذي ينشر الأمراض وحيث بدأت تنشر حمى الضنك بشكل كبير والملاريا رجعت حيث أن المفروض اننا تخلصنا من الملاريا لكنها رجعت بشكل اكبر وفي فترات كان مكتب الصحة يرش حاليا هذا الظاهرة لم تعد موجودة وللأسف البنية التحتية للصرف الصحي غلط إلى جانب ليس هناك وعي بيئي عند الناس وحرق المخلفات في وسط المساكن يزيد الطين بلة وهي مضرة للصحة نتمنى أن يصبح لدينا وعي بيئي ويجب أن نفهم أن الشارع هو بيتي مثل ما أريده نظيف يجب أن يكون شارعي نظيفا.

تقييم صحي

النظافة هي الهم الشاغل للمواطن والمعنيين في المحافظة والنظافة في المحافظة أصبحت شبه معدومة مما تؤثر على انتشار الفيروسات والأوبئة، هذا ما لفت إليه مدير المركز الوطني للصحة العامة بالحديدة الدكتور خالد العبسي مؤكداً أن حمى الضنك وفيروس الوادي المتصدع و الإسهال وغيرها من الفيروسات، تعد أبرز هذه الأوبئة الفتاكة التي تؤدي إلى تدني مستوي الصحة في المحافظة وارتفاع مستوى إصابة القاطنين واهم هذا الفئات هم الأطفال حيت تشكل الإصابة إلى 70٪ من إجمالي من يصابوا بهذه الامراض.

وأوضح الدكتور العبسي: إن العامل الأساسي في ارتفاع الإصابة بالأوبئة تراكم القمامة وطفح المجاري أصبح يساعد ويؤدي إلى تربه خصبه لنمو هذا الفيروسات وتوالد الحشرات وأصبحنا نعاني من الأوبئة في المحافظة بشكل يومي وليس كما كان في السابق كانت الأوبئة موسمية كما إن نزول الأمطار خلال تلك الفترة زاد الطين بل وتفشي الكثير من الأمراض ونحن لا نحمل المسؤولية لجهة معينة بل يجب تكاتف جهود الجميع فالمواطن له دور و الجهات المعنية لها دور واعتقد اذا تم التعاون بين المواطن والجهات المعنية سيكون الحال أفضل من هذا ونتمنى من الله أن يلطف بنا وعلى الجهات المعنية أن تعي خطورة الوضع الحالي للنظافة وعلى المواطن أن يلتزم بقواعد النظافة والسعي لتوفير بيئة مناسبة للعيش في المحافظة.

الحلقة القادمة

تبقى الغوص في واقع معاناة المواطن جراء تدني مستوى النظافة، وواقع عامل النظافة كجزء من منظومة المهمة العامة والخدمية للنظافة والتحسين الحضري للمدينة ودور المجلس المحلي كهيئة سلطوية لها دور الرقابة والحسم في هذه المشاكل، هذا ما سنناقشه في الحلقة القادمة.

مشاهد مؤلمة:

> تُطلُ على الشاطئ فترتدي حدادك المؤلم على مدينة أحرمها البشر من الاغتسال في البحر من أدرانهم

> في "غُليل والحَوَك العليا والسفلى" اختلطت المجاري بالمخلفات فصارت مستنقعاً يهدد الحياة ويهجّر الساكنين

> باب مشرف والمطرق تجارة عريقة في محشر المخلفات وبشر ألفوا التعايش في حضرة اليأس

■ مخططات مشاريع تتحول إلى مقالب قمامة

■ أرضية مشروع المدينة الطبية محرقة للفحم